المدائح الرضوية في أشعار الشعراء العرب

(دراسة وتحليل)

الدكتور حسين مهتدي
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران
mohtadi@pgu.ac.ir

Razavi praises in the poetry of Arab poets

(study and analysis)

Dr. Hossein Mohtadi
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities , Persian Gulf University, Bushehr , Iran

الملخص:ـ

فن المديح هو من أقدم الفنون الأدبية ويشغل كمًّا هائلًا من الشعر الولائي بشكل عامّ، لا غرابة في ذلك، فإنّ المدح هو انسياب العاطفة المشوبة تجاه الممدوح مندفعة بقوّة تعدّد فضائله ومناقبه وأوصافه. الباحث في هذا البحث بصدد الإجابة عن هذا السؤال الرئيس: ما هي المضامين المستخدمة في المدائح الرضوية للشعراء العرب في منطقة خليجفارس؟ بناء علي هذا السؤال ينقسم هذا البحث إلى القسمين: القسم الأوّل يتطرّق إلى المناقب والفضائل الإمام الرضا عليه السلام والقسم الثاني يدور حول خراسان وشرف زيارة قبر الإمام الرضا عليه السلام. من أهم معطيات هذا البحث هو أنّ الشعراء العرب في منطقة خليجفارس لم يتطرّقوا إلى غزل جسدي في مدائحهم الرضوية وهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الإمام الرضا عليه السلام مدحا جسديا وظاهريا بل تدور مدائحهم حول أوصافه الباطنية وهذا يميزه مدائحهم عن مدائح سائر الشعراء الذين يمدحون السلاطين والملوك. وأهمّ هذه الأوصاف الباطنية هي: علم الإمام الأزلي، فضله وجوده، حسبه ونسبه الطاهر، وهو ملجأ المظلومين والمضطهدين والبؤساء في هذه الدنيا وشفيعهم في يوم القيامة وهم يتوسّلون به في حاجاتهم المادية والمعنوية. ومن المضامين الأخرى التي تحدّث هؤلاء الشعراء عنها في مدائحهم الرضوية هي خراسان وقبر الإمام الرضا عليه السلام. استخدم هؤلاء الشعراء في مدائحهم الرضوية الصنائع الأدبية كالتشبيه والتضمين والاقتباس من القرآن الكريم. والمدائح الرضوية للشعراء العراقيين أكثر من مدائح الشعراء العرب الآخرين. فقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي والتحليلي حيث تقوم على استقراء الأبيات الّتي تدلّ علي المدائح الرضوية وثمّ قام بشرح هذه المضامين شرحًا وافيا، واقتصرنا علي أشعار الشعراء العرب في منطقة خليج فارس لكي نستنتج نتيجة ملموسة.

الكلمات المفتاحية: الإمام الرضا عليه السلام، المديح، الأدب الملتزم، الخليج الفارسي.

Abstract:-

The art of praise is one of the oldest literary arts and occupies a large amount of loyal poetry in general. It is not surprising that praise is the flow of tainted emotion towards the praised one, driven by the force of a plurality of his virtues, virtues and descriptions. The researcher in this research is about to answer this main question: What are the contents used in the Razavi praises of Arab poets in the Persian Gulf region? Based on this question, this research is divided into two parts: the first part deals with the virtues and virtues of Imam Reza, peace be upon him, and the second part revolves around Khurasan and the honor of visiting the tomb of Imam Reza, peace be upon him. One of the most important data of this research is that the Arab poets in the Persian Gulf region did not touch upon bodily flirtation in their praises of Razavi, and these poets did not praise Imam Reza, peace be upon him, outwardly and physically. The most important of these esoteric descriptions are: the knowledge of the eternal imam, the virtue of his existence, his calculation and his pure lineage, and he is the refuge of the oppressed, the oppressed and the wretched in this world and their intercessor on the Day of Resurrection as they plead with him for their material and moral needs. Among the other implications that these poets talked about in their Razavi praises are Khurasan and the tomb of Imam Reza, peace be upon him. In their praises of Razavi, these poets used literary artifacts such as similes, imputations, and quotations from the Noble Qur'an. The praises of Razavi for Iraqi poets are more than the praises of other Arab poets. In his study, the researcher relied on the descriptive and analytical method, as it is based on the extrapolation of verses that indicate the praises of Razavi, and then he explained these implications in a full explanation, and we confined ourselves to the poems of Arab poets in the Persian Gulf region in order to draw a tangible result.

Key words: Imam Reza, peace be upon him, praise, committed literature, the Persian Gulf.

١. المقدمة:ـ

المدح لغة هو حسن الثناء (ابن منظور، ١٩٩٨: مادة م د ح) وفي اصطلاح أهل الأدب ((المدح هو فن شعري يتطرّق الشاعر فيه إلى فضائل الممدوح الأخلاقية وصفاته المثالية ويصوّر جوانب مختلفة من حياة الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء التي لم يتطرّق إليها المؤرّخون وبذلك يخلّدون ذكرهم في التاريخ ولو لم يكن فن المديح لآهمل كثير من خصال أجدادنا و مُثل أسلافنا)) (سرباز، ١٤٢٤ هـ: ٣٩). ومن أنواعه: المدح التكسبي وهو الذي يهدف فيه الشاعر إلى الحصول على الأموال أو الحصول على رضا الممدوح، وكان يُعتبر قديمًا نوع من أنواع الشعر الفني المستخدم من جانب الفقراء. وكذلك من أنواعه: المدح الصادق، وهو مدح يستخدم لإظهار تأثر الشاعر بأخلاق وصفات الممدوح، حيث يُظهر عاطفة المادح. يشغل المديح كمًّا هائلًا من الشعر الولائي بشكل عامّ، لا غرابة في ذلك، فإنّ المدح هو انسياب العاطفة المشوبة تجاه الممدوح مندفعة بقوّة تعدّد فضائله ومناقبه وأوصافه، فما ترى العاطفة شمائل أهل البيت ﷺ التي تميزتهم عن سائر الناس حتى ترى أمامها المَعين الصافي، والمنهل العذب، فتنهل منها ما شاءت لها قدرتها أن تنهل. هذا ما نلاحظه عندما نقرأ شعر المديح في أهل البيت ﷺ فإنّه شعر ما أوحاه الخيال بل أوحاه الواقع للعاطفة فغنّته لحنًا سماويا صادق اللغة، واثق الخطي يرفده القرآن الكريم والسنّة النبوية والواقع التاريخيّ، فلا تجد فيه أوسمة جوفاء خالية عن أيّ معني من معاني الصدق و ألقابًا سمجة حاكتها كفّ الخيال. وثِق بأنك حينما تقرأ هذا اللون من الشعر فإنّما تشاهد فيلمًا وثائقيًّا قد سُجّلت فيه الصور المتحركة التي عاشها الأئمّة في واقعهم العملي قولًا وفعلًا ولا يحتاج شاعرهم إلّا إلى دقّة في الملاحظة وقوّة في العرض و ذوق في الاختيار (سنبل،٢٠٠٣م: ٢٠٣).

لقد أثنى على الإمام الرضا عليه السلام كثير من الشعراء، سواء كان ذلك في حياته أو بعد شهادته، من المتقدمين والمتأخرين وعلى مر العصور وكر الدهور، وذلك لانبهارهم بفضائله وكراماته الظاهرة في حياته وبعد شهادته، فراحوا يصفون ويصورون ما يخالج نفوسهم من الولاء والحب، ويستعرضون مناقبه وتأريخه ومواقفه المختلفة. وفيما يلي نماذج من القصائد التي استعرض فيها الشعراء جوانب من حياة الإمام المفدى عليه السلام وبينوا فضائله ومناقبه وتأريخه السياسي وما إلى ذلك من الأبعاد المتعددة في حياة الإمام عليه السلام. الكاتب يتطرّق في

هذه المقالة إلى المدائح الرضوية في أشعار الشعراء العرب في منطقة خليجفارس مستعينًا بالمنهج الوصفي التحليلي.

٢. لمحة عن حياة الإمام الرضا عليه السلام

((هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام الْإِمَامُ الرِّضَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ كُنْيَتُهُ أَبُو الْحَسَنِ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقُبِضَ عليه السلام بِطُوسَ مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَ مِائَتَيْنِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ الْبَنِينَ وَقَبْرُهُ فِي طُوسَ فِي سَنَابَاذَ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَشْهَدِ مِنْ أَرْضِ حُمَيْدٍ)) (الطوسي، ١٣٦٥ ش: ٨٣/٦)

٣. أسئلة البحث

في هذه المقالة الّتي تستفيد من المنهج الوصفي - التحليلي نسعي للإجابة عن هذه الأسئلة: ما هو أهم المناقب الّتي تحدّث الشعراء في أشعارهم عن الإمام الرضا عليه السلام وعلي أيّ شيءٍ تدلّ المفردات الّتي استخدمها هؤلاء الشعراء في أشعارهم؟ وما هي المضامين المستخدمة في المدائح الرضوية للشعراء العرب في منطقة خليجفارس؟ أي بُعدٍ من أبعاد شخصية الإمام الرضا عليه السلام نال اهتمامًا متزايدًا في المدائح الرضوية لشعراء منطقة خليجفارس؟ وما هي أبرز المحطات التي توقف هؤلاء الشعراء في حياة الإمام الرضا عليه السلام؟

٤. خلفية البحث:

فيما يتعلّق بالدارسات السابقة لما قيل من الشعر في الإمام الرضا عليه السلام يجدر بنا القول أنّ الشعراء الكثيرين أنشدوا أشعاراً في الإمام الرضا عليه السلام وهذه الأشعار منتشرة في مختلف الدواوين والكتب وجمع إسماعيل الحاج عبدالرحيم الخفّاف هذه الأشعار في كتابه المسمّي بـ ((الإمام الكاظم وذراريه في التراث الشعري والتاريخي والفقهي)) دون أي تحليل أو دراسة أدبية ولم يتناول باحث آخر هذه الأشعار من الناحية الأدبية ولم يتناول باحث آخر هذه الأشعار من الناحية الأدبية إلّا: ١. مقالة تحت عنوان ((بررسي تطبيقي مدايح رضوي در شعر عربي و فارسي از ابتدا تا پايان قرن دهم)) لـ أحمد رضا يلمهها ومهديه ولي محمدآبادي، ١٣٩٤ ش، الكاتبان لم يشيرا إلى الشعراء الذين عالجناهم في هذا البحث

ويصبّان اهتمامهما في الدراسة المقارنة في المدائح الرضوية بين الشعراء العرب والفرس من البداية حتى القرن العاشر؛ ٢. ((سيماي امام رضا در شعر دعبل خزاعي ونظيري نيشابوري)) لـ علي اكبر أحمدي چناري وپريسا أحمدي، ١٣٩٤ ش، تطرّق الكاتبان في هذه المقالة إلى صورة الإمام الرضا عليه السلام في شعر دعبل الخزاعي ونظيري النيشابوري ولم يشيرا إلى الشعراء الآخرين. لهذا هذا المقال هو أوّل دراسة تُكتب في موضوع المدائح الرضوية في أشعار الشعراء العرب في منطقة خليجفارس. وأخيرًا نرجو أن تكشف هذه الدراسة آفاقًا جديدةً في الموضوع وتضعها بين يدي القرّاء الأعزّاء.

٥. مناقب وفضائل الإمام الرضا عليه السلام في أشعار الشعراء العرب في منطقة الخليج

أنشد العلّامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن الطحان القديحي القطيفي (المتوفي ١٣١٥هـ) في الإمام الرضا عليه السلام:

للإمام الرضا مناقب شتى	قد روتها الأصحاب والأعداء
يعجز الحاسبون عن نشر بعض	ومحال لكلها الإحصاء
قل في ابن موسى الرضا ما شئت من مدح	فمنتهى المدح في علياه تقصير
فكلما ستر الأعداء مناقبه	فأتاهم من نكال الله تسخير
كم حاول الغادر المأمون غائله	فآب وهو قريح القلب مثبور
يدعو الإله باسماءٍ معظمة	وصوته فيه للجلمود تفجير

(الخفاف، ١٤٣١ هـ: ٥-٦٣؛ مثيرة الكآبة، لا تا: ١٢)

في رأي الشاعر لا يمكن إحصاء مناقب الإمام الكاظم عليه السلام كلّها ولا يستطيع أحد أن يحصي تفصيله وكلّ شاعر أشار إلى جانب من جوانب هذه الصفات الحميدة. أشار الشاعر في هذه الأبيات مكانة الإمام الرضا عليه السلام بين الناس ووصلت هذه المكانة إلى حد يروي الأصحاب والأعداء هذه المناقب ولا يستطيع أعداءه إنكار فضائله ومناقبه، وخاب وأيس المأمون الغادر في ستر فضائل الإمام الرضا عليه السلام ويذكر الشاعر في البيت الأخير قسمًا من مناقبه وهو يدعو اللهَ تعالى بأسماءه المعظمة وصوت الإمام عليه السلام ليس صوتًا عاديا بل فيه خشوع وعظمة، إن وَصَلَ صوته إلى الصخور لهدمت وانفجرت من أجل الخشوع الذي

كان في دعوات الإمام عليه السلام. في الحقيقة إنّ للإمام الرضا عليه السلام حقيقة تستحيل كشفها وإزالة الحجب عنها، وإن يسعي الساعون والجاهدون فيها فلا يزسدهم شيئًا غير المعاناة.

إنّ السيد حسن السيد يحيى السيد أحمد الأعرجي الحلي (كان حيا سنة ١٠٧٨هـ) له في الإمام الرضا عليه السلام:

علي بن موسى حجة الله في الورى	بعيد مدى العلياء زاكي المناسب
إمام الورى هادي الأنام بلا مرا	عظيم القرب رب التقى والمناصب
هو البحر بحر العلم والحلم والحجى	وبحر العطايا والندى والمواهب
نمته إلى العلياء سراة أماجد	مناجيب من عليا لؤي وغالب
علومهم تهدي الورى من دجى العمى	وآراؤهم مثل النجوم الثواقب

(الأمين، ١٩٨٣: ٣٩٢/٥)

جَمَعَ الشاعر باقة من المناقب والصفات الحميدة للإمام عليه السلام. الشاعر أشار إلى كمّ هائلٍ من فضائل الإمام الرضا عليه السلام وهو حجة الله في الناس والذي يكون حجة الله فهو إمام الناس ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو ماذا يفعل هذا الإمام بين الناس؟ أجاب الشاعر عن هذا السؤال ويقول الإمام عليه السلام يهدي الناس إلى صراط المستقيم ويخرجهم من الظلمات إلى النور. وكيف يهدي الإمامُ عليه السلام الناسَ؟ الإمام عليه السلام يهدي الناس بعلمه الذي أعطاه الله تعالى. شبّه الشاعرُ علم الإمام الرضا عليه السلام وحلمه وعطاياه ومواهبه بالبحر وهذا يدلّ علي أنّ الإمام عليه السلام الذي يكون إماماً لجميع الناس يجب أن يكون علمه وحلمه ومواهبه وجميع فضائله واسعًا كالبحر حتى يستطيع أن يرشد الناس إلى صراط المستقيم. جاء في البيت الأخير الفعل (تهدي) بالشكل المضارع والفعل المضارع يدلّ علي الاستمرار أي علوم الإمام عليه السلام جارية بين الناس وتهدي الناس في كلّ زمان. رُوي في الحديث في علم الإمام الرضا عليه السلام:((عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الصَّوْلِيِّ عَنْ أَبِي ذَكْوَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ مَا رَأَيْتُ الرِّضَا عليه السلام سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا عَلِمَهُ وَ لَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَا كَانَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ إِلَى وَقْتِهِ وَ عَصْرِهِ وَ كَانَ الْمَأْمُونُ يَمْتَحِنُهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَيُجِيبُ فِيهِ وَ كَانَ كَلَامُهُ كُلُّهُ وَ جَوَابُهُ وَ تَمَثُّلُهُ انْتِزَاعَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَ كَانَ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ وَ يَقُولُ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَهُ فِي أَقْرَبَ مِنْ ثَلَاثٍ لَخَتَمْتُ وَ....)) (حرّ العاملي،

١٤٠٩هـ: ٢١٧/٦). ويقول الشاعر في البيت الأخير إنّ الإمام الرضا عليه السلام قمة في الهدي وهو بدر إيمان يجلو الكفر والشرك الإلحاد.

وفي أعيان الشيعة جاء فيه أن السيد عبد الله خان المشعشعي (المتوفي ١٠٩٧ هـ) له في الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أشعاراً وفيها يسلّط الشاعر الضوء علي دور الإمام عليه السلام في شفاعته لشيعته ومحبيه في يوم المحشر إضافة إلى أثر حبّ الإمام الرضا عليه السلام في دفع نوائب الدنيا ومصائبها:

وقالوا إلى أين تبغي المسير	وتتركنا في عظيم اللغب
فقلت إلى نور عين الرسول	وأزكى قريش وخير العرب
علي بن موسى وصي الرسول	سليل المعالي رفيع الحسب
إمام الورى أشرف العالمين	حميد السجايا شريف النسب
فأنت الإمام ونجل الإمام	وأنت المرجّى لدفع الكرب
أجرني من نائبات الزمان	ومثلك من يرتجى للنوب
وأرجوك يا أكرم العالمين	تخلصني من عظيم النَصَب
ومن لي سواك بيوم النشور	وأنت الشفيع وخير السبب

(الأمين، ١٩٨٣: ٦٣/٨)

إنّ السيد عبد الله خان المشعشعي أثني علي الإمام الرضا عليه السلام ومدحه في ثلاثة محاور، المحور الأوّل أشار الشاعر إلى حسب الإمام عليه السلام ومكانته وهو نور عين الرسول صلى الله عليه وآله وهو ليس أزكي إنسان في القريش فقط بل يكون أزكي إنسان في العرب كلهم وهو نجل الإمام عليه السلام ورفيع الحسب وشريف النسب، والمحور الثاني هو محور الإمامة فهو وصيّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وإمام الناس؛ والمحور الثالث هو محور الشفاعة لأنّ الإنسان الّذي يكون رفيع الحسب وشريف النسب وإمام الناس ووجيهاً عند الله تعالى فالشاعر يراه شفيعه في الملمّات الدنيوية وشفيعه في يوم الآخرة ويستشفع ويتوسّل به. مِن الجليّ أنّ هذه الأبيات تدخل أغلبيتها ضمن صفات الإمام الكاظم عليه السلام وشمائله النفسية كـ (النور، الإمام، الوصيّ، الشفيع، السبب).

إنّ الشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني القديحي القطيفي (المتوفّي ١٣٤٠ هـ) قد نظم في الإمام الرضا عليه السلام قوله:

قل في الرضا ما شئت من مدح ... فلست تبلغ ما أن عشت اقصاها
وكيف تبلغها والدهر متصل ... ينبيك آخرها عن ذكر أولاها
هذه فضائله كالشمس طالعة ... لم يعش عن ضوئها إلّا الذي تاها
فانه من كرام طاهرين لقد ... صفا ذواتهم الباري وزكاها
واذهب الرجس عنهم لا يلم بهم ... عيب ونقص وحاشاهم وحاشاها
وأنهم فُلْك نوح فاز راكبها ... وخاب تاركها والنار يصلاها
صَلى عليهم اله الخلق ما تليت ... في فضلهم مِدَحٌ في الذكر أبداها

(الخفاف، ١٤٣١ هـ: ٩٥)

إنّ ذات الإمام الرضا عليه السلام تقدّست من أن تفهمه العقول وتبلغ إليه الأفهام. والشعراء الكثيرون قد أرادو أن يصفوا شأنه وينعتوا له لكن فشل سعيهم وما بلغوا مناهم. بناء علي هذا إنّ الشيخ علي ابن الشيخ حسن البلادي أشار إلى أنّ فضائل الإمام الرضا عليه السلام لا تُحصي ولا يبلغ الإنسان إلى نهاية هذه الفضائل التي تضيء كالشمس ثمّ تطرّق الشاعر إلى موضوع مهم وهو أنّ الإمام عليه السلام هو الذي صفا ذواته الله تعالى وطهّره الله وأذهب عنه الرجس والعيب والنقص. اقتبس الشاعر البيت الخامس من هذه الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/٣٣) ثمّ شبّه الشاعر في البيت السادس الإمام وأهل البيت عليهم السلام كلهم بفلك النبيّ نوح عليه السلام ومن ركبها أمن وفاز ومن تركها خاب وغرق ويدخل النار وأشار الشاعر إلى ((الْفُلْكِ الْجارِيَةِ فِي اللُّجَجِ الْغامِرَةِ، يَأْمَنُ مَنْ رَكِبَها، وَيَغْرَقُ مَنْ تَرَكَها)) (عاملي كفعمي، ١٤٠٥ هـ: ٥٤٩). وهم الصراط المستقيم ومن سلك طريقهم فهو سيصون من الضلالة ويسلم ومن يعدل عنه يعرج سيصبح نادمًا. والحق أنّ حضور اللغة الدينية في النص له فاعلية تبدت بأجلي صورها حين لاذ الشاعر بإيمانه مردداً مفردات وعبارات مستمدة من أصول دينية.

إنّ الشيخ محسن أبي الحب (١٣٠٥ هـ، ١٣٦٩ هـ) قال في الإمام الرضا عليه السلام:

قـــد زرت في طـــوس إمامـــاً ثامنـــاً ... بحمـــاه أمـــلاك الســـماء تحـــوم
آبـــاؤه الغـــر الميـــامين الأُولى ... بهـــم تشـــرف زمـــزم وحطـــيم
وبفضـــلهم نطـــق الكتـــاب وشـــانهم ... شـــأن لـــدى رب الســـماء عظـــيم
فهـــو ابـــن موســـى مـــن يـــزره يفـــوز في ... روض الجنـــان يحفـــه التكـــريم
يســـقى بـــاكواب تطـــوف عليـــه مـــن ... ولـــدانها ورحيقهـــا مختـــوم
أنّـــى يخـــاف الزائـــرون مـــن الأذى ... وشـــفيعهم ذاك الرضـــا المعصـــوم

(أبي الحب، ١٣٨٥ هـ: ١٩٢)

إنّ مدح آل البيت في الأشعار العربية يأتي امتداداً للمدائح النبوية، وظهرت الإشادة بآل البيت عليهم السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لقرابتهم منه، ولسبقهم إلى الإسلام وجهادهم في سبيل الله، ولمكانتهم الدينية العالية، فذكرهم مقرون بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلوات... وصار لمدح آل بيت ورثائهم معان محددة يرددها الشعراء وطرائق معروفة يترسّمونها (منتظري، ١٤٤٢ هـ: ٣٣٢-٣٣٣) وظل هذا الأمر مستمراً حتى عصرنا الحاضر وخاصة عند الشعراء المتشيعين الذين ظلوا يمدحون الإمام الرضا عليه السلام. لكي يمدح الشيخ محسن أبي الحب الإمام الرضا عليه السلام يثني أوّلًا أجداد الإمام عليه السلام ويصفهم بأنّهم الغرّ الميامين وهم الذين تشرف بهم بئر زمزم وركن الحطيم ولهم شأن عظيم لدي الله تعالى ثمّ يشير إلى أنّ الإمام الرضا عليه السلام هو الذي تحوم أملاك السماء بحماه. وهناك أفعال مضارع في هذه الأبيات كـ(يحفّه ويسقي) وهذه الأفعال تدلّ على الاستمرار التجددي أي أنّ هذه الصفات الجليلة ليست مقتصرة على أيّام حياته بل مستمرة وكلّ إنسان يطلب من الرضا عليه السلام شيئا فهو يعطيه طلبه بفضله وجوده. ويشير الشاعر في البيت الأخير إلى أنّ الإمام الرضا عليه السلام شفيع لزائريه ومن الخصائل التي ذكرها الشاعر للإمام عليه السلام هو أنّه إمام معصوم. كلُّ هذه المناقب يوحي بسموّ منزلة الإمام الرضا، وعظيم مكانته، فما يستطيع قلمٌ، أو نظمٌ أن يحيط بهذه المكانة.

أنشد عبد الصمد بن محمد باقر الخامنئي (متوفّي ١٣١١ هـ) في الإمام الرضا عليه السلام:

فـوا عجبًـا مِـن حضـرةٍ قَـد ثَـوَي بهـا ... خزانـــةُ أســـرارٍ ونـــورٌ وبرهـــانُ

(الخامنئي، ١٤١٤ هـ: ٤٨)

ذكر الشاعر ثلاث خصائل للإمام الرضا عليه السلام: خزانة الأسرار ونور وبرهان، كما أشار الأعرجي في شعره إلى أنّ الإمام عليه السلام حجّة الله علي خلقه وعلمه واسع وهو بحر العلوم ولا شاطئ لعلمه وكما أشار المشعشي الإمام عليه السلام هو نور عين الرسول صلى الله عليه وآله. الإمام الرضا عليه السلام هو إبن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام كلّهم السبب الموصول بالله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله هو سرّ الله تعالى وينتقل هذا السرّ من إمام إلى إمام حتى وصل إلى الإمام الرضا عليه السلام ولهذا الشاعر يقول أنّ الإمام الرضا عليه السلام يكون خزانة الأسرار و هو نور الله تعالى في الأرض. لعلّ في ألفاظ مثل (خزانة الأسرار ونور) دلالة علي حالة شعورية تنم عن ثقة الشاعر بالمعنوي وحالة الحب الإلهي التي عاشها الشاعر في لحظات روحانية رائعة. كلمة (النور) في هذه الأبيات تدلّ علي أنّ الأئمّة عليهم السلام كلّهم كأنوار منبثقة من نور الله تعالى ومَن تبعهم اهتدي ومَن عصي عن أوامرهم فقد ضَلّ.

إنّ أبا نؤاس (المتوفي ١٩٨ هـ) الشاعر المشهور قال لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قلت فيك أبياتاً وأنا أحب أن تسمعها مني، قال هات: فأنشأ يقول:

فعلامَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه

قلت لا استطيع مدح امامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيه

(المرعشي، ١٤٠٩هـ: ٥٥٤/١٩)

إنّ أبا نؤاس ترك مدح الإمام الرضا عليه السلام لأنّ مناقبه وخصاله عظيمة إلى حدّ أنّ جبريل كان خادمًا لأبيه لهذا أبو نؤاس عجز عن مدحه.

إنّ الجِشّي القطيفي (متوفي ١٣٧٦ هـ) أشار إلى المناقب الأخرى للإمام الرضا عليه السلام:

سيّدُ الكائنات مولي البرايا ... حجّةُ الله مظهرُ الإيمان

قصدناك يا بابَ الرّجا مبدأَ الفيض ... ويا ملكَ الدارين في البسطِ والقبضِ

يا علّةَ الإيجاد في كلِّ عالم ... وَمَن بيديه الأمر مهما يشأ يمضِ

(الجِشّي القطيفي، ٢٠٠٣ م: ٣١٣)

إذا دقّقنا في هذه الأبيات سنجد كمًّا هائلًا من الصفات الحميدة للإمام الرضا عليه السلام والشاعر ركز في مدائحه الرضوية علي المناقب المعنوية للإمام عليه السلام ويعتقد بأنّ الإمام عليه السلام

سيد الكائنات، ومولي البرايا، وحجّة الله تعالى علي خلقه، ومظهر الإيمان أي أنّ الذي يريد أن يرى ذروة الإيمان يجب أن ينظر إلى الإمام عليه السلام وفي البيت الثاني الشاعر يسلّط الضوء علي مكانة الإمام عليه السلام في الناس وهم يلجؤون إلى بابه ويرجون في استجابة دعواتهم، والإمام بسبب الإذن الذي أعطاه الله تعالى يتصرف في العالمين وهو علّة الإيجاد في العالم وفي السرّاء والضرّاء يجود علي الناس. في الحقيقة يخاطب الشاعر الإمام الرضا عليه السلام قائلا إنّه ليس هناك مشكلة إلّا يكون حلّها بيديك كما لا يحدث في العالم شيء إلّا أنت علّة إيجاده. يلاحظ هيمنة الإنشاء علي هذا النص من خلال أسلوب النداء وليس الأمر غريبًا فالعلاقة قائمة بين الشاعر وإمامه، لهذا استخدم الشاعر في هذه الأبيات المنادي المضاف ثلاث مرّات ويتّخذ المنادي ((باب)) من خلال إضافته إلى ((الرجاء)) هوية الرمز وهذا يشير إلى القضايا التي يعيشها الشاعر في حياته وواقعه، وهي حياة مثقلة بقيود التعسّف والظلم والاستبداد، وخنق الأصوات الثائرة وخاب الشاعر عن الجميع ولجأ إلى باب الإمام الرضا عليه السلام.

إنّ الشيخ جعفر الهلالي (المتوفّي ١٣٨٤ هـ) ينشد في مدح الإمام الرضا عليه السلام:

يـــا لابسًـــا ثـــوب الإمامـــة والتقـــي ... عـــن لبســـه هـــذي الخلائـــق تقصـــر

دوي صـــداك فكنـــتَ في دنيـــا الـــوري ... عَلَمًـــا وهـــل يخفـــي الصـــباح المســـفر

(الخفّاف، ١٤٣١ هـ: ٧٢)

ركز الشاعر علي مكانة الإمام بصفته إمام عليه السلام الناس وحجّة الله علي خلقه وخصّص الشاعر ثوب الإمامة والتقي للإمام الرضا عليه السلام ولا يستطيع أن يلبس أحد هذا ثوب. شبّه الشاعر في البيت الثاني الإمام عليه السلام بعَلَم الهداية ويهدي الناس إلى الصراط المستقيم.

السيد حيدر الحلي (المتوفي ١٣٠٤ هـ) يشير إلى جود الإمام عليه السلام:

واســـتَقَلَّ البحـــورَ جـــودًا فـــأجرَي ... مِـــن أســـاريرِ راحتَيـــهِ بُحـــورَا

(الحلّي، ٢٠١١ م: ٢٤١)

الشاعر يسلّط الضوء علي جود الإمام و سخاءه ويقول أنّ جود الإمام أكثر من البحور إلى حدّ أنّ جود البحور في مقابل جود الإمام قليل فكأمّ الأمام يجري من كفّيه بحورًا من الجود والعطاء.

وقد يتوسّل الشاعر بالإمام الرضا عليه السلام لأغراضه المادية كما السيّد حسين رضا بحر العلوم (المتوفّي ١٣٠٦ هـ) يتوسّل به لألم يشعر في عينه:

قصدتُ قبرك مِن أقصي البلاد ولا ... يخيبُ تاالله راجي قبرك العطر

رجوتُ منك شفا عيني وصحّتها ... فامنن عليّ بها واكشف قذي بصري

حتّامَ أشكو سليل الأكرمين أذي ... اذاب جسمي وأوهي ركن مصطبري

(الخاقاني، ١٤٠٨ هـ: ٢٢٦/٣)

بما أنّ الشاعر شَعَرَ بألم في عينه وخاب عن الأطباء وأصبح مضطرًا قصد مرقد الإمام الرضا عليه السلام وطلب شفا عينه منه وهو الّذي شفاه بإذن الله تعالى والعبارة (لا يخيب تاالله) تدلّ علي أنّ الزائر الّذي يزور قبر الإمام عليه السلام لا يخيب. ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله ((سَتُدفَنُ بَضعةٌ منّي بأرضِ خراسانَ ما زارها مكروبٌ إلّا نَفَّسَ اللهُ كربتَه)) (حر العاملي، ١٤٠٩ هـ: ٥٥٧/١٤؛ الشيخ صدوق، ١٣٧٨: ٢٥٨/٢).

العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله (المتوفّي ١٤٣١ هـ) عندما يسّره الله زيارة الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت عليهم السلام وقف قائلًا:

يا عليّ الرّضا هنا نحنُ في دربكَ نحياكَ سيدًا وإمامًا

كلُّ وجداننا ولايةُ إيمان تناجي بهديك الإسلاما

نحنُ جندُ الإسلام نقتحم الدُّنيا وندعو إلى الجهاد الأناما

قد لمحنا الصّفاءَ والطّهر والرّوح مع الآل رحمةً وسلامَا

يا إمامَ الإسلامِ هَبْ لِي مِن روحكَ روحاً تُبَعثِرُ الآلاما

إنّني وافدٌ إليك فَهَل ألقي لديك الصفاء الإلهاما

(فضل الله، ٢٠٠١ م: ٣٧٦)

لا يطلب العلامة فضل الله من الإمام عليه السلام طلبًا ماديا بل يطلب منه روحًا ملهمةً حتى تُذهب آلامه. العلامة فضل الله يقول في علاقته بأئمّة أهل البيت عليهم السلام: ((إنّ التزامنا بأئمة أهل البيت هو الإلتزام بالإسلام النقيّ الصّافي وعسي أن تكون ولايتنا لهم ولاية موقف لا ولاية عاطفة لأنّهم انطلقوا من خلال الإسلام فمَن تحرّك في خطّ الإسلام فهو معهم))

(فضل الله، لا تا: ٩٤/١). إنّ الشاعر يؤكد علي واقع علاقته وأمّته بالإمام الرضا عليه السلام من خلال الضمير المكرّر ((نحن)) وهو ضمي الجماعة الذي بني الشاعر خطابه الشعري عليه، لأنّه يتكلّم بلسان الأمّة. لقد وَفَ الشاعر علي حياض الإمام الرضا عليه السلام فنَهَل منها علمًا وورعًا، وفكرًا، وعقيدةً، وجهادًا، فكانت حياته مع آل البيت ووجدانه ولايةُ إيمان بالإسلام من خلالهم فهم سفينة النجاة والصّفاء والطّهر والرحمة والسّلام التي من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرِق وهوي.

أنشد الشيخ علي الجِشّي القطيفي في توسّلاته بالإمام الرضا عليه السلام:

فهـا أنـا ذا عبـدٌ ببابـك واقـفٌ ... فلا تُخلني مِن نظرةُ اللطف في العرضِ

فـلا فَـرَّقَ الـرحمنُ بـيني وبيـنكم ... بطرفـة عـينٍ مِـن جـواركم المرضـي

(الجِشّي القطيفي، ٢٠٠٣م: ٣١٣)

يستهلّ الشاعر أبياته بصفة الخضوع ((عبد)) وهو يذكرنا بأنّ زائري الإمام الرضا عليه السلام يجب مراعاة آداب الحضور في حرم الإمام عليه السلام. إننا نعرف الإمام الرضا عليه السلام بالإمام الرئوف، ونعرف الإمام الرضا عليه السلام بصفة الرحمة والرأفة. لم تقتصر هذه الصفة على تعامله مع عائلته و أقربائه فقط، بل كان جميع الناس يستفيدون منها، كل بحسب سعته الوجودية. أشار الشاعر في هذين البيتين إلى أنّ الإمام عليه السلام إنسان رؤوف ويسلّط الضوء علي هذه المنقبة ويطلب من الله تعالى أن يفرّق بينه وبين الإمام عليه السلام طرفة عين. وفعل ((لا تخلني)) فعل النهي ولكن خرج عن معناه الأصلي ليدلّ علي معني جديد وهو للدعاء وفعل ((لا فرّق)) فعل ماض ولكن في معني الدعاء.

والشيخ جابر الكاظمي (المتوفّي ١٣١٢ هـ) أنشد في الإمام الرضا عليه السلام:

لـمن ضـمن الجنـان وصـفو عـيش ... لمـن قـد زاره يـوم اللقـاء

(الكاظمي، ١٣٨٤ هـ: ٣٢)

السؤال الذي يطرح هنا هو ما هو جزاء زيارة قبر الإمام الرضا عليه السلام؟ الشاعر أجاب عن هذا السؤال ويقول جزاء زيارة الإمام هو الجنة وصفو العيش.

السيد حيدر الحلي (المتوفّي ١٣٠٤ هـ) تحدّث عن جزاء زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام

بمناسبة عودة صديقه مصطفي كبّة من زيارة الإمام الرضا عليه السلام:

فـــأتي مشـــهدًا لِمَـــن طـــافَ فيـــه ... قـــد أعَـــدَّ الإلـــهُ أجـــرًا كـــبيرًا
فيـــه لطـــفُ اللهِ الّـــذي مَـــن يـــزوره ... زارَ في عرشِـــهِ اللطيـــفَ الخـــبيرا
حـــازَ أجـــرًا لـــو الـــوَرَي اقتَسَـــمَتْه ... لَغَـــدا فيـــه كلُّهـــم مـــأجورا

(الحلي، ٢٠١١ م: ٢٤١)

استفاد الشاعر في هذه الأبيات من تركيب وصفي ((أجرًا كبيرًا)) لبيان جزاء زيارة الإمام الرضا عليه السلام ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو ما هو هذا الأجر الكبير لزيارة مرقد الإمام عليه السلام؟ أجاب الشاعر عن هذا السؤال ويقول بما أن الإمام رؤوف والرؤوف واللطيف من صفات الله تعالى لهذا من زار مرقد الإمام الرضا عليه السلام كمن زار الله تعالى في عرشه.

٦. عن طوس ومرقده

للشيخ أحمد آل عصفور (المتوفى سنة ١٤٣٥ هـ) هذه الأبيات في الإمام الرضا عليه السلام:

قصـدتك يـا أرضـاً أتاهـا الرضـا قسـرا ... وذلـك عـن أمـر الـدعي لـه جهـرا
لثمـتُ ثـراك عنـدما بـان بـيرق ... يرفـرف مـن بُعـد علـى القبـة النـورا

(آل عصفور، ٢٠٠٧ م: ٢٥)

الشيخ أحمد آل عصفور عندما يتحدّث عن مرقد الإمام عليه السلام يشير إلى تراب مرقده، وبيرقه المرفرف فوق قبته، وقبته المنوّرة. ولثم التراب يشير إلى استشفاعه وتوسّله بالإمام عليه السلام. وفي البيت الأوّل يتطرّق الشاعر إلى أنّ مأمون أجبر الإمام عليه السلام علي الهجرة إلى خراسان كرها لا طوعا.

والشيخ احمد بن شيخ خلف آل عصفور (المتوفي ١٤٣٥ هـ) يقول في البداية كنتُ أظنّ بما أنّ الإمام الرضا عليه السلام دفن في خراسان قد لا يكون له زائر ولكن تفجأتُ بعدما زرتُ مرقده ووجدتُ الزائرين الكثيرن وينشد في هذا المجال:

ولكـــنّني مـــع طـــول مكثـــي عنـــده ... فلـــم أكُ أحظـــي بالـــدنوّ لـــه فتـــرا
لكثـــرة مـــن هـــم يحـــدقون بقـــبره ... يطوفـــون صـــفًا واحـــدًا لم أجـــد شـــبرا

وجـــدتُ حـــديثًا مرســـلًا جـــاء عـــنكم ... يقـــول بـــأنّ الزائـــرينَ لـــه نـــزرا
ولكـــن أراهـــم مثـــلَ ســـيلٍ تحـــدرت ... مجاريـــه أو بحـــرٍ أريـــدُ لـــه مجـــري
تمـــوج بـــه أفـــواجهم متلاطمًـــا ... يطوفـــون حـــول القـــبرِ والقبّـــة النـــورا

(آل عصفور، ٢٠٠٧ م: ٦-٢٥)

تحدّث الشاعر في هذه الأبيات عن كثرة زائري الإمام الرضا عليه السلام وشبّه هؤلاء الزائرين وكثرتهم عندما يطوفون حول مرقد بسيل وبحر هائج تموج به أفواجهم. وأشار الشاعر إلى أنّ عدد زوّار الإمام عليه السلام إلى حدّ لا يجد مكانًا فارغًا في حرمه. قال الإمام عليه السلام أيضًا في جزاء زيارته: ((**حُشِرَ في زمرتنا وجُعِلَ في الدرجاتِ العُلي مِنَ الجنةِ رفيقنا**)) (حر العاملي، ١٤٠٩ هـ: ٥٦٨/١٤؛ الشيخ صدوق، ١٣٧٨: ٢٥٦). ويأتي الفعل المضارع ((يطوفون)) ليحملَ إيحاءات صورة الحجيج وقد بدأوا الطواف والإحرام حول الكعبة.

وإنّ السيّد محسن الأمين العاملي (المتوفّي ١٣٧١ هـ) له في ثامن الأئمة الرضا عليه السلام:

أقـــر مـــني الســـلام قـــبراً بطـــوس ... وأطـــل لثمـــه إذا جئـــت طوســـا
وأخلـــع النعـــل في ثـــراه ففيـــه ... مَـــعْ ســـنا نـــور أحمـــد نـــار موســـى
كـــل مـــن زاره أصـــاب رضـــا اللـــ ... ـــه وفي عفـــوه غـــدا مغموســـا

(الخفاف، ١٤٣١هـ: ١١٠)

تحدّث العاملي في هذه الأبيات عن جزاء زيارة مرقد الإمام ويقول كلّ من زار مرقد الإمام عليه السلام جزاءه رضا الله تعالى ويغفر الله تعالى له يوم القيامة. وبما أنّ الإمام عليه السلام هو نور عين الرسول صلى الله عليه وآله عندما يدخل الشاعر في مرقد الإمام عليه السلام يجد نور الرسول صلى الله عليه وآله. والشطر الأول من البيت الثاني يشير إلى هذه الآية الكريمة: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢) وهذا يدلّ علي أن خراسان أصبحت مقدسة لأنّ الإمام الرضا عليه السلام دُفن فيها.

إنّ أبا القاسم كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني الاصفهاني الوزير (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)كان من المتفانين بحب النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام له في الإمام الرضا عليه السلام:

يـــا زائـــراً ســـائراً إلى طـــوس ... مشـــهد طهـــر وأرض تقـــديس

ابلـــغ ســـلامي الرضـــا وحُـــطَّ علـــى أكـــرم رمـــس لخـــير مرمـــوس

(ابن عبّاد، ٢٠٠١م: ٦٠)

الشاعر يعتقد بأنّ طوس أرض مقدّسة لأنّ الإمام الرضا عليه السلام دفن فيها ويري قبر الإمام عليه السلام أكرم قبر. وقال الشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحميد الهلالي (المولود سنة ١٩٣٢ م) في الإمام الرضا عليه السلام:

وإذا خراســـان تضـــمك رائـــداً فـــذّاً بـــابراد العلـــى يتـــأزر

قـــف في خراســـان وشـــم ترابهـــا فترابهـــا المســـك المـــداف الأذفـــر

قـــل أن حللـــت بأرضـــها وفضـــائها بوركـــت أرضـــاً بالإمـــام تنـــور

قـــد حزتـــه شـــرفاً بملتحـــد بـــه ســـر الوجـــود وركنـــه والمحـــور

قـــبر تضـــمن بضـــعة لمحمـــد هـــو مـــن ســـنا ذاك الجنـــاب منـــوّر

فعلـــى ترابـــك كـــم تواجـــدت الـــورى قـــد شـــدّها لـــك شـــوقها المتفجـــر

أبـــداً تطـــوف ببقعـــة ميمونـــة مثـــل الحجـــيج مهلـــل ومكـــبر

وتـــروح تلـــثم للضـــريح بلهفـــة وبـــذاك للفضـــل الكـــبير تؤشـــر

(الخفاف، ١٤٣١ هـ:٧٢)

إذا دقّقنا النظر في هذه الأبيات نرى أنّ الشيخ الهلالي أشار إلى أنّ خراسان أصبحت مقدّسة لأنّ الإمام عليه السلام دفن فيها لهذا ترابها ليس تراب عاديّ بل يشمّ الزائر منها رائحة المسك الأذفر. وهذا القر الذي دفن فيه الإمام عليه السلام ليس قبراً عاديا بل تضمّن نور عين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبضعته. شبّه الشاعر زائري الإمام الرضا عليه السلام بحجيج الكعبة وكما يطوف الحجيج حول الكعبة يطوف زائريه حول ضريحه المقدّس مهلهلين ومكبّرين. وفي البيت الأخير يشير الشاعر إلى أنّ زائري الإمام عليه السلام يقبّلون ضريحه لتبرّك به. هذا بيان بأنّ لطوس الشرف لأنّها ضمت في ترابها أشرف الخلق وخير البشر، ففيه دُفن الإمام الرضا عليه السلام وهو نور عين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. يمدح الشاعر الإمام الرضا عليه السلام المدفون بأرض خراسان وهو يبشّر سكان خراسان بأنّ نوائب الدهر ومصاعبها لن تصل إليهم لوجود الإمام الرضا عليه السلام فيه الذي يحميهم ويصونهم منها جميعاً. إنّ مرقد الإمام الرضاء رمز الحق وحيثُ تهفو القلوب. فكيف يتحرّك الزائرون والمقيمون في المقد؟ إنّ الأفعال المضارعة ((تطوف))

و((تلثم)) توحي بالحركة والحيوية وفوضي الزّيارة. ويأتي الفعل المضارع ((تطوف)) ليحملَ إيحاءات صورة الحجيج وقد بدأوا الطواف والإحرام حول الكعبة.

إنّ الشيخ عبد المنعم الفرطوسي (المتوفّي سنة ١٤٠٤ هـ) له في مدح الرضا عليه السلام تحت عنوان (ابا الجواد نظمها عام ١٣٧١ هـ):

أأبا الجواد قطعت السهل والحدبا ... شوقاً إليك وقد ابلغتني الإربا

أبصرت قبتك الحمرا مشرقة ... تطاول القبة الزرقا والشهبا

فرفرف القلب من فرط الولا فرحاً ... وراح يرقص في أحشائه طربا

(الخفاف، ١٤٣١ هـ: ٩٣)

الشيخ الفرطوسي ينادي الإمام الرضا عليه السلام بكنية أبي الجواد و((السهل والحدب)) يدلّان علي أنّ الإمام الرضا عليه السلام دفن في الغربة وهو قبره بعيد عن قبر آباءه الطاهرين وزائري الإمام عليه السلام يعانون مصائب كثيرة للوصول إلى خراسان وزيارة قبره. إنّ الفعل ((أبصرتُ)) يوحي بمشاهدة القلب والعقل، فما أبصر شاعر آل البيت؟ يأتي المفعول به ((قبتك الحمراء)) وهي القبّة التي تفوق علي السماء والشهب.

إنّ محمّد حبيب الضبيّ (المتوفى في حدود سنة ٤٠٠ هـ) له في الإمام الرضا عليه السلام هذه القصيدة:

قبر بطوس به أقام إمام ... حتم إليه زيارة ولمام

قبر أقام به السلام وإذ غدا ... تهدى إليه تحية وسلام

قبر سنا أنواره يجلو العمى ... وبتربه تستدفع الاسقام

قبر يمثل للعيون محمّداً ... ووصيّه والمؤمنون قيام

قبراً إذا حل الوفود بربعه ... رحلوا وحطت عنهم الاثام

قبر علي بن موسى حلّه ... بثراه يزهو الحل والاحرام

(الخفاف، ١٤٣١ هـ: ٩٨-٩٧)

إنّ الألفاظ التي ذكرها الشاعر تشيع مناخًا من الهناء والفرح والأمل والطمأنية. إنّ تكرار كلمة ((قبر)) ست مرّات في هذه الأبيات يدلّ علي أنّ مكانة مرموقة لقبر الإمام

الرضا عليه السلام وهذا القبر ليس قبرٌ عاديا بل هو قبر نور عين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ووصيه ومن زار قبر الإمام بخراسان يغفر الله لذنوبه. وله معجزات ونور قبره يجلو الأعمي وتستدفع الأمراض بتربه. جاء في البيت الثالث ((أنوار)) بصيغة الجمع وهذه تدلّ علي أنّ للإمام الرضا عليه السلام ليس نور واحد بل له أنوار أي نور الهداية، نور الرحمة، نور الفضل، نور الشفاعة، نور الإمامة... وبعبارة أخرى جمع الإمام الرضا عليه السلام في ذاته جميع مناقب وفضائل آباءه.

إنّ الشيخ محمّد بن علي نصار (المتوفّى ١٢٩٢ هـ) قال زرت الإمام الرضا عليه السلام فامتدحته بقصيدة وأنا في الطريق وكان مطلعها:

يـــا خليلـــي اهجـــرا ولا تريحـــا	أوشـــكت قبـــة الرضـــا أن تلوحـــا
أن قـــبراً لاطفـــت فيـــه ثـــراه	منـــع المســـك طيبـــة أن يفوحـــا

(الخفاف، ١٤٣١ هـ: ١٠٩)

ويقول عندما دخلت الروضة الشريفة واكملت الزيارة ثم نمت ليلتي فرأيت الإمام الرضا عليه السلام في النوم وهو جالس على كرسي في روضته الشريفة فسلمت عليه وقبّلت يديه فرحب بي وأدناني وأعطاني صرة وقال افتحها ففيها مسك أذفر ففتحتها فوجدت فيها فُتاتاً لا رائحة له فقلت لا رائحة له فتبسم (المصدر نفسه).

٧. النتيجة:

ومن الجدير بالذكر أنّنا لا نرى غزل جسدي في حقل المديح وهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الإمام الرضا عليه السلام مدحا جسديا وظاهريا بل تدور مدائحهم حول أوصافه الباطنية وهذا يميزه مدائحهم عن مدائح سائر الشعراء الذين يمدحون السلاطين والملوك. إنّ الشعراء العرب الولائيين في منطقة خليجفارس ينتمون إلى آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا وهم قد رأوا في سلوك الأئمّة وحياتهم ونهجهم امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله. اكتشف الشعراء العرب الولائيون في الإمام الرضا عليه السلام في كلّ عقله وأخلاقه وعملهم وسيرتهم وسلوكهم، فهم قد عاشوا معه ولايزال ليجدوا فيه هذا الينبوع المتدفّق الذي يعطي الكثير من روح الإسلام ووحيه وحركيته وحيويته ممتداً من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل بيت النبوّة عليهم السلام، الذين والاهم ولاية إيمان واعتقاد وقداسة. إنّ هؤلاء الشعراء في مدائحهم

يعيدون إلى الأذهان استمرارية الرسالة من خلال الإمامة، التي تُمثّلُ امتداداً للنبوّة قالإمام الرضا عليه السلام ينطق بلسان رسول الله صلى الله عليه وآله الناطق بالوحي. وهم يشيرون في مدائحهم الرضوية إلى عصمة ذات الإمام وقدسيتها من خلال عجز الخيال علماً، ومعرفةً، ونظماً، أن يحيط بنور الإمام وسرّه، وعلمه، لاسيما أنّ الإمام الرضا عليه السلام كان نور عين رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد تبين في المدائح الرضوية لهؤلاء الشعراء إنّ هذا السرّ العظيم، والمكانة السّامية المقدّسة التي يحتلّها الإمام الرضا عليه السلام في كلّ قلب، جعلت الناس يؤمّون مرقده الشريف من كلّ حدب وصوب، فإذا بهذا المرقد يستقبل الزائرين والمبتهلين والدّاعين بما يحوي هذا الضّريح من سرّ إلهي أرسي قواعد العدل والحقّ، وصار كعبةً للمسلمين. وقد تبين من خذا البحث أنّ المدائح الرضوية للشعراء العراقيين أكثر من مدائح الشعراء العرب الآخرين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. آل عصفور، الشيخ احمد بن الشيخ خلف، (٢٠٠٧ م)، طُموح النفس، جمع و تحقيق محمود طرادة، قم: منشورات دار التفسير، ط ١.

٢. ابن عبّاد، الصاحب، (٢٠٠١م)، ديوان الصاحب بن عبّاد، شرحه إبراهيم شمس الدين، ط ١، بيروت: مؤسسة منشورات الأعلمي للمطبوعات.

٣. ابن منظور، محمّد بن مكرم، (١٩٩٨ م)، لسان العرب، تحقيق علي سيري، بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي.

٤. أبو الحب، (١٣٨٥ هـ)، محسن، ديوان أبي الحب، النجف الأشرف.

٥. الأمين، السيد محسن، (١٩٨٣)، أعيان الشيعة، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

٦. الجِشّي القطيفي، علي بن حسن، (٢٠٠٣ م)، ديوان العلامة الجِشّي، بيروت: مؤسسة الهداية.

٧. الحرّ العاملي، محمد بن محسن، (١٤٠٩ ق)، وسائل الشيعة، قم: مؤسسه آل البيت،

٨. الحلّي، السيد حيدر، (٢٠١١ م)، ديوان السيد حيدر الحلّي، تحقيق الدكتور مُضَر سليمان الحلّي، بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ط ١.

٩. الخاقاني، علي، (١٤٠٨ هـ)، شعراء الغري، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

١٠. الخامنئي، عبد الصمد بن محمد باقر، (١٤١٤ هـ)، مقتطفات من ديوان أديب العلماء الشيخ عبد الصمد بن محمد باقر الخامنئي، إعداد و تقديم جعفر السبحاني، قم: مؤسسة الإمام الصادق.

١١. الخفاف، إسماعيل الحاج عبدالرحيم، (١٤٣١ هـ)، الإمام الكاظم و ذراريه في التراث الشعري والتاريخي والفقهي، حققه حميد مجيد هدّو، قسم الثقافة والاعلام في العتبة الكاظمية المقدسة.

١٢. سرباز، حسن، (١٤٢٤ هـ)، المدائح النبوية نشأتها وتطوّرها في الأدب العربي، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد ١٠.

١٣. سنبل، نزار، (٢٠٠٣ م)، أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر، بيروت: مركز الثقافي للنشر والتوزيع.

١٤. الشيخ صدوق، محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه قمي، (١٣٧٨هـ)، عيون أخبار الرضا، انتشارات جهان.

١٥. الطوسي، (١٣٦٥ ش)، التهذيب، طهران: دار الكتب الإسلامية.

١٦. العاملي الكفعمي، إبراهيم، (١٤٠٥ هـ)، المصباح، قم: انشارات رضي.

١٧. فضل الله، السيد محمد حسين، (٢٠٠١م)، قصائد للإسلام والحياة، (ط ٢)، بيروت: دار الملاك.

١٨. فضل الله، السيد محمّد حسين، (لا تا)، الندوة، بيروت: دار الملاك.

١٩. الكاظمي، الشيخ جابر، (١٣٨٤ هـ)، ديوان الشيخ جابر الكاظمي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد: منشورات المكتبة العلمية.

٢٠. مثير الكابة و الاشحان فى ذكر بعض احوال غريب خراسان مخطوط، رقم ٨٥١٠ (استان قدس) وفاة الامام الرضا عليه السلام للمترجم، ص.١٢

٢١. المرعشي، قاضي نور الله، (١٤٠٩ هـ)، إحقاق الحق و إزهاق الباطل، ط ١، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

٢٢. منتظري، آزادة، (١٤٤٢ هـ)، المدائح العلوية في العراق العثماني دراسة وتحليل، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية السنة ٢٤، العدد ١.